الأهرام

المصدر: الشرق الاوسط

التاريخ : ٢٠ اغسطس ٢٠٠٢

الحكومة السودانية بين مثلثي حلايب وأليمي

أمريكا المثلث الثالث لإبعاد السودان عن المحيط العربي!

لا خلاف على الاطلاق في ان السودان يمر هذه الايام باخطر المراحل في تاريخه الحديث، وهو بين ان يكون أو لا يكون، وليس معروفا على وجه اليقين الى اين ستقوده الطبخات الخفية التي تشرف عليها الولايات المتحدة تحديدا؟ او تلك التي ربما تنشأ من داخل السودان نفسه استباقا وخوفا من المجهول الذي قد يفككه الى عدة دويلات أو حتى يمكن ان يحافظ على وحدته ولكن باوضاع تغير من موازين الثقل والتوجهات بحيث يصبح شماله مهمشا وتبتعد الدولة عن كل امتداداتها العربية وتنكب بكلياتها الى امتداداتها الافريقية! وينبغي الا يغيب عن البال ان الجبهة الاسلامية بعد انقضاضها على السلطة بقليل كانت تبشر بهذا المنحى في فورة عداواتها لكل المحيط العربي لما اختارت الانحياز للعراق في اجتياحه للكويت!.

لقد ورد هذا الخاطر على البال والتلفاز ينقل امامي بشكل مفاجئ ان الفريق البشير وضع نزاع «حلايب» بين مصر والسودان في صدارة الاحداث، وطلب من مجلس الامن الفصل فيه خلال أيام، وتداعت التساؤلات تباعا: هل هي غضبة من النظام على مصر لكونها لم ترحب باتفاق اطار «مشاكوس»؟ وهل مجرد اعتراض مصر المشحون بالحنو والخوف على وحدة السودان يمكن ان يقابل بكل هذه القفزة التي ترتد بعلاقات الدولتين الى اعلى درجات التوتر، ان لم نقل القطيعة؟! وهل هي مجرد غضبة لا تخلو من رعونة ام هي خطوة مسنودة من «سيد» مجلس الامن. وفوق هذا وذاك هل الهدف من هذه الاثارة المفاجئة لنزاع حلايب هو محاولة دغدغة مشاعر الشعب السوداني ضد مصر في هذا المنعطف الخطير الذي يمر به السودان حتى ينصرف الشعب عن ما جرى ويجري في كينيا من مفاوضات لترجمة اتفاق الاطار الذي قسم السودان الى كيانين الى واقع لا فكاك منه مستقبلا؟

لعل اكثر المفارقات التي تدعو للدهشة والسخرية معا، ان كينيا التي تحتضن اتفاق الاطار هي نفسها كانت قد استولت على مثلث «أليمي» الحدودي السوداني والذي تقدر مساحته بمائة وخمسين الف هكتار، لكن هذا النظام طيلة سنوات حكمه لم يطالبها بهذا المثلث، بل لم يذكرها بمجرد الرغبة لاحقا في التفاوض حول اعادته لجملة اسباب منها: انه اتخذها وسيطا بينه وبين حركة قرنق!، والحركة نفسها وهي المعنية اكثر بالمثلث لزمت الصمت ايضا حتى لا تفقد موقع وجودها الاستراتيجي في كينيا. بينما يغري هذا الصمت المشترك كينيا في ابتلاع المثلث يفجر البشير النزاع مع مصر حول مثلث حلايب وفي اللحظات التي تبدي فيها مصر حرصها على وحدة السودان اوليست هذه مفارقة تدعو للسخرية حقا!.

اما المفارقة الاكثر غرابة فإنها تتمثل في الخلافات الدائرة الآن في جولة المفاوضات في مشاكوس حول الحدود من جهة والدين من جهة اخرى. فبينما تصر الحكومة على ان حدود الجنوب هي المرسومة فعلا عند استقلال السودان، ترى الحركة انها تمتد الى جبال النوبة غربا واجزاء من مناطق النيل الازرق شمالا بحسبانها مناطق مهمشة ولا نريد الخوض في التفاصيل، وانما نقف عند الدلالة الكبرى وهي ان مجرد البحث في مسالك الحدود على هذا النحو يعني بداية التطبيق العملي لاجراءات الانفصال منذ الآن وان «الحكومة الجنوبية» تطمع جغرافيا في التمدد خارج حدود الجنوب المعروفة. وبالمثل فان تملص الحكومة من ان تكون العاصمة القومية «الخرطوم» خلال المرحلة الانتقالية محكومة بدستور علماني يعني انها منذ الآن تحاول بصورة لا لبس فيها ان تجعل الانفصال لا شك فيه بعد نهاية الفترة الانتقالية بل ربما قبلها ايضا طالما تتمسك منذ البداية بالحكم الديني في العاصمة التي من المفترض أن تكون قومية.

ولا شك ان هذا الخلاف والمفاوضات التفصيلية ما تزال في

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

بداياتها يعكس ان كل ما تردد حول ان اتفاق الاطار تخطى اهم مشكلتين هما: الدين، وحق تقرير المصير ليس اكثر من هراء، فالخلاف حول الدين بين كما نرى، وخلاف الحدود هو من ابرز تداعيات حق تقرير المصير، فضلا عن الاستفتاء على تقرير المصير تتدخل تعقيدات كثيرة لتجعل منه امرا مستحيلا على ما يبدو فتعداد الجنوبيين على وجه التقريب سبعة ملايين بينما قبيلة الدينكا وحدها تعدادها اربعة ملايين انسان، اذن بوسع هذه القبيلة ان تحدد نتيجة الاستفتاء دون اعتبار لعشرات القبائل الاخرى، فكيف يمكن حل هذه المعضلة؟ ناهيك عن مشكلات اخرى كثيرة لا يتسع المجال للتعرض لها في هذا السياق، وهكذا يبدو ان لا حل الا بقبول النظام بقيام دولة ديمقراطية بعيدا عن اقحام الدين في السياسة وهو بهذا القبول يسقط حق تقرير المصير كما يسقط حكم السودان بثلاثة دساتير في الفترة الانتقالية ويجعل من السودان كيانا واحدا يحكم بنظام فيدرالي ببرنامج يحقق المساواة والعدالة في قسمتي السلطة والثروة الى آخره. ولو قبل النظام منذ البداية بهذا الطرح لما ادخل الجميع في هذه الدوامة، ولا سبيل الا بالاخذ بهذه القاعدة المضمنة في مبتدأ اعلان مبادئ «الايقاد» علما بان الاوراق الامريكية التي قدمت في جولات المفاوضات الاولى في مشاكوس لم يرد في اي منها اية اشارة لحق تقرير المصير، ولكن امريكا عدلت عن موقفها تجاوبا مع نظام الخرطوم واخذت بالشق الاخير في اعلان المبادئ استرضاء «للاسلام السياسي» الذي اصبح اكثر من موال لها ومن هنا بدأت تظهر مهددات وحدة السودان!. ولا شك ان المساندة الامريكية للنظام لم تقف عند هذا الحد بل تكشفت في ابعادها للقوى السياسية الاخرى من مائدة المفاوضات وذلك تكريسا لاعترافها بان النظام هو الممثل الشرعي والوحيد لشمال السودان مع علمها بانه لا يمثل الا اقلية والادهى من ذلك انها تخلت عن مطالبتها بتوفير الديمقراطية وحقوق الانسان والتعددية وتداول السلطة. ولعل ابرز الآيات الدالة على ذلك ما ورد في عدد «الشرق الأوسط» بتاريخ 2002/8/17حيث نقلت عن مبعوث الرئيس الامريكي للسودان قوله لمجموعة من الصحافيين في مقر السفارة الامريكية في القاهرة: «ان لبلاده ثلاثة شروط لتطبيع العلاقات مع السودان، وهي: التعاون الكامل في مجال مكافحة الارهاب، وتوصيل المساعدات الانسانية وتحقيق السلام في الجنوب» وكشف «أن الرئيس بوش قال له منذ اسبوعين لو استطاع السودان حل مشاكله فان اي مكان آخر في العالم يمكن ان يحل مشاكله». واضاف: «ان الرئيس يولي اهتماما مكثفا لحل القضية السودانية». هكذا فجاة اصبح حل مشكلة السودان بنظر امريكا المدخل لحل كل مشاكل العالم على حد ما يرى الرئيس بوش بحسبانها الاعصى في العالم! ولا ادري اذا كان علينا كسودانيين ان نفرح او نتوجس خيفة من هذا الاهتمام الامريكي الذي يميزنا على كل العالم اذا صح التعبير، علما بان هناك وفدا من الكونغرس يزور السودان لاول مرة وسط ترحيب كبير عبر عنه وزير الخارجية بان بلاده ستحرص على اطلاعه واحاطته بكل ما يريد!.

في كل الاحوال من واجبنا ان ننزعج على وحدة بلادنا ومن ما يدبر لنا في الخفاء، ومن حق مصر ان تتوجس ولكن عليها ان تتحمل قدرا كبيرا من المسؤولية في كل ما جرى فهي قد وقعت في فخاخ هذا النظام اكثر من مرة، ولم تنشط وساطتها مع ليبيا على نحو فاعل، بل في احسن الحالات كانت الاجتماعات بشانها قاصرة على وزيري خارجية مصر وليبيا مع وزير خارجية السودان مع تغييب كامل ومتعمد لمشاركة التجمع في تلك الاجتماعات، حتى قفزت امريكا الى قلب الحدث وما عاد الاسى او العتاب بذي جدوى.. الآن نحن في اللحظة الاخيرة فهل بوسع العرب كل العرب ان يتداركوا ما يمكن تداركه قبل طوفان نهاية المطاف العربي في السودان؟

محمد الحسن أحمد

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية